

جان دوندار: تركيا الآن بلد حزين

دايفيد ليبسكا
كاتب مختص بالشأن التركي



بإمكانتي العودة والنهال إلى السجن، لكنني في هذا الوقت لم أكن متأكدًا من أن السجن ستكون أمنة بالنسبة إليّ بعد إطلاق سراح المهاجم.. تخيل، لقد حاول أن يقتل صحافياً على الملا ومكث في السجن ما يقرب من أسبوعين".
وانتقل دوندار إلى برلين وسرعان ما علم أن الحكومة التركية قد أخذت جواز سفر زوجته. وقال "حاولنا بكل وسيلة استعادة جواز سفرها بالطرق القانونية وبالطرق السياسية وعبر القنوات الدبلوماسية.. لم يفلح الأمر. قررت حكومة أردوغان الاحتفاظ بها لمجرد معاقبتي. لقد كانت رهينة".
بعد ثلاث سنوات، تخرج ابنها من الجامعة في لندن، اتبعت ديليك تيركر دوندار طريق لاجئين لا حصر لهم قاموا برحلة غير شرعية من تركيا إلى أوروبا. وتمّ لم شمل الزوجين في اليونان وعادا إلى ألمانيا سوية.

تلقى دوندار تهديدات بالقتل ووضعت السلطات الألمانية تحت حماية بعد تلقيها معلومات عن تهديد خطير. وهو يرى هذا فيما ينفذ أردوغان التهديد الذي وجهه بعد نشر القصة حول دخول شاحنات وكالة الاستخبارات الوطنية التركية إلى سوريا.

وقال دوندار "إنه يحاول معاقبة خصومه أينما كانوا... إذا كنت في السجن أو داخل البلاد أو خارج البلاد، لا يهجم. إذا كنت تتحدث مثل هذا القائد ومثل هذا النظام، فإنهم يريدون أن تشعر دائما بالخطر".



جان دوندار
الألاف من الأتراك
يواجهون عقوبات كثيرة
لمعارضتهم أردوغان

هذا لم يمنع دوندار من العمل. فهو رئيس تحرير محطة أوزغوروز الإذاعية على شبكة الإنترنت ويكتب عموداً أسبوعياً لصحيفة المانية، في حين يواصل إضافته إلى ما يربو على 40 كتاباً كتبها. وقد فاز بسلسلة من الجوائز الكبرى، بما في ذلك جائزة حرية الصحافة الدولية التي تمنحها لجنة حماية الصحافيين، وجائزة الحرية ومستقبل وسائل الإعلام من مؤسسة لايبزيغ الإعلامية، وجائزة صحافي العام في أوروبا.

لكن في تركيا، يتم التعامل مع دوندار على أنه عبق للدولة ويواجه قضايا في المحكمة مرتبطة باحتجاجات حديثة غيّرت، وفضيحة الفساد ومنفذ إعلامي مغلق.
وقال "إذا وصفت بعددٍ للدولة فمن السهل عليهم إلقاء كل اللوم عليك"، مضيفاً أنه وجد طريقة جيدة للتعامل مع الهجمات شبه اليومية ضده في وسائل الإعلام التركية الموالية للحكومة. وأردف قائلاً "في مرحلة ما، قررت تجاهلها. وهذا عقاب لهم... لقد فقدوا قوتهم".

وتابع قائلاً "في الحرب، إذا كنت مصاباً، فلن تشعر بالألم ولكن بعد ذلك تبدأ بالشرف وتذكر أن هناك جروحاً. إن الأمر كذلك، ففي المعركة لم ندرك مدى صعوبة كل ما مررنا به، ولكن على المسرح لمدة ساعة ونصف شاهدنا كل هذه السنوات المضطربة، كان الأمر صعباً، وأدركنا أنه كان كثيراً جداً على زوجين وعائلة".

في السنوات القليلة الماضية، واجه الألاف من العائلات التركية الأخرى عقبات مماثلة وأسوأ من ذلك. وقال دوندار إنه وزوجته يشعرون بالرضا لأن بإمكانهما على الأقل مواجهة المنفى سوية. عندما يفكران في تركيا، لا يشعران بافتقار أي مطعم أو منظر لإسطنبول أو أكلة معينة، بل الإحساس بما فقدته بلادهم. وقال "نحن نفقد تركيا

بلد حزين الآن، يعاني الكثير لسوء الحظ لم يعد بلدي سعيداً بعد الآن. افقدت ضحكته. أكره أن أرى بلدي يعاني".

بدأت المشكلة بالنسبة إلى جان دوندار، كما حدث مع الكثيرين في تركيا، بمظاهرات منتصف عام 2013 التي سعت في البداية إلى وقف هدم حديقة غيزي في إسطنبول، لكنها تحولت إلى حركة ضد زعيم البلاد، رجب طيب أردوغان.
وقال رئيس التحرير السابق لصحيفة جمهورييت، الذي يعيش الآن في المنفى في ألمانيا، لموقع "أحوال تركية" في بث صوتي "بودكاست"، "أعتقد أن مظاهرات حديقة غيزي كانت بمثابة نقطة تحول بالنسبة إلى تركيا، وليس فقط بالنسبة إليّ".

وقال دوندار (البالغ من العمر 58 عاماً) والذي كان يعمل كاتب عمود في جريدة ميلليت في ذلك الوقت "منذ ذلك الحين، أدرك أردوغان التهديدات ضده وحاول سحق كل المعارضة، وكنت أحدهم... كنت أشرك في احتجاجات غيزي، كنت هناك صحافي، كمواطن، وكاتب. كتبت في عمودي ما شاهدته، لكنه لم يعجبهم".
وسمحت جريدة ميلليت، التي اشترتها ديميرورين القابضة في عام 2011 وهي شركة قريبة من أردوغان وحزب العدالة والتنمية الحاكم الذي يتزعمه، لوندان بالرحيل. فانتقل إلى صحيفة جمهورييت، حيث سرعان ما واجه اتهامات حكومية بسبب كتابته عن فضيحة فساد كبرى شملت عائلة أردوغان وأجبرت وزيرين على الاستقالة.

وقد تم تعيينه رئيس تحرير في أوائل عام 2015 وعثر على قصة أكبر، بان تم تصوير شاحنات من وكالة الاستخبارات الوطنية التركية في تسجيل مصور وهي تنقل الأسلحة عبر الحدود إلى سوريا وربما إلى تنظيم الدولة الإسلامية "داعش". ويقول مسؤولون أتراك إن الشاحنات كانت تسلم أسلحة للمقاتلين التركمان. وعلى أمل تجنب الاضطهاد الحكومي، قرر فريق التحرير في صحيفة جمهورييت وضع جميع أسماءهم على المقال.
تم اعتقاله مع رئيس مكتب أنقرة إردم غول بتهمة التجسس والانتماء لجماعة إرهابية ووضي 92 يوماً في السجن. وفي مايو 2016، حُكم على دوندار بالسجن لمدة ست سنوات تقريباً بسبب كشفه عن أسرار الدولة، وفي حين كان يغادر قاعة محكمة كاجلابان في إسطنبول مع زوجته، ديليك، خرج رجل من الحشد، فيقول عن ذلك "أذكر أن شخصاً ما كان يقترب... لم أر المسدس في البداية، لكنني سمعت صوته، وصفني بالخائن. ثم أطلق النار مرتين، أتذكر رائحة ذلك، ثم قال صديق لي، وهو صحافي آخر أصيب، أرضاً! فأنت الهدف".

بدأت زوجته في صد المسلح ثم قامت الشرطة وعضو البرلمان المعارض محرم إريك، بالسيطرة على المهاجم قبل أن يتمكن من التسبب في أي إصابة خطيرة. استأنف دوندار قرار المحكمة وذهب إلى إسبانيا لكتابة كتاب. وفي حين كان هناك، واجهت حكومة أردوغان محاولة انقلاب قتل فيها 2500 شخص. أراد دوندار العودة إلى تركيا على الفور، لكنه تحدث إلى محاميه الذين أخبروه أنهم على الأرجح لن يتمكنوا من حمايته من الناحية القانونية أو الجسدية. فرفضت الحكومة على تركيا حالة الطوارئ وبدأت سلسلة من عمليات التطهير وطردت عشرات الآلاف من الموظفين العموميين وتعقبت عدداً لا يحصى من الاتباع المزعومين لفتح الله غولن، الداعية التركي المقيم في الولايات المتحدة والذي تتهمه تركيا بالوقوف وراء محاولة الانقلاب.

وفي الوقت نفسه، سمحت السلطات بإطلاق سراح بعض المجرمين. وقال دوندار "لم تبدأت المشكلة بالنسبة إلى جان دوندار، كما حدث مع الكثيرين في تركيا، بمظاهرات منتصف عام 2013 التي سعت في البداية إلى وقف هدم حديقة غيزي في إسطنبول، لكنها تحولت إلى حركة ضد زعيم البلاد، رجب طيب أردوغان.
وقال رئيس التحرير السابق لصحيفة جمهورييت، الذي يعيش الآن في المنفى في ألمانيا، لموقع "أحوال تركية" في بث صوتي "بودكاست"، "أعتقد أن مظاهرات حديقة غيزي كانت بمثابة نقطة تحول بالنسبة إلى تركيا، وليس فقط بالنسبة إليّ".

وقال دوندار (البالغ من العمر 58 عاماً) والذي كان يعمل كاتب عمود في جريدة ميلليت في ذلك الوقت "منذ ذلك الحين، أدرك أردوغان التهديدات ضده وحاول سحق كل المعارضة، وكنت أحدهم... كنت أشرك في احتجاجات غيزي، كنت هناك صحافي، كمواطن، وكاتب. كتبت في عمودي ما شاهدته، لكنه لم يعجبهم".
وسمحت جريدة ميلليت، التي اشترتها ديميرورين القابضة في عام 2011 وهي شركة قريبة من أردوغان وحزب العدالة والتنمية الحاكم الذي يتزعمه، لوندان بالرحيل. فانتقل إلى صحيفة جمهورييت، حيث سرعان ما واجه اتهامات حكومية بسبب كتابته عن فضيحة فساد كبرى شملت عائلة أردوغان وأجبرت وزيرين على الاستقالة.

وقد تم تعيينه رئيس تحرير في أوائل عام 2015 وعثر على قصة أكبر، بان تم تصوير شاحنات من وكالة الاستخبارات الوطنية التركية في تسجيل مصور وهي تنقل الأسلحة عبر الحدود إلى سوريا وربما إلى تنظيم الدولة الإسلامية "داعش". ويقول مسؤولون أتراك إن الشاحنات كانت تسلم أسلحة للمقاتلين التركمان. وعلى أمل تجنب الاضطهاد الحكومي، قرر فريق التحرير في صحيفة جمهورييت وضع جميع أسماءهم على المقال.
تم اعتقاله مع رئيس مكتب أنقرة إردم غول بتهمة التجسس والانتماء لجماعة إرهابية ووضي 92 يوماً في السجن. وفي مايو 2016، حُكم على دوندار بالسجن لمدة ست سنوات تقريباً بسبب كشفه عن أسرار الدولة، وفي حين كان يغادر قاعة محكمة كاجلابان في إسطنبول مع زوجته، ديليك، خرج رجل من الحشد، فيقول عن ذلك "أذكر أن شخصاً ما كان يقترب... لم أر المسدس في البداية، لكنني سمعت صوته، وصفني بالخائن. ثم أطلق النار مرتين، أتذكر رائحة ذلك، ثم قال صديق لي، وهو صحافي آخر أصيب، أرضاً! فأنت الهدف".

مؤتمر برلين لتسوية الأزمة الليبية أم ترحيلها إلى مرحلة أخرى

تباين الأجندات يعسر مهمة التوصل إلى تسوية سياسية في ليبيا



سعي دؤوب لإيجاد حل

رابط قوي بين المسارات يمنع التلاعب بها في منتصف الطريق.
غاب عن البنود الحديث عن آلية واضحة لتنفيذها، قبل أن يستقبل المجتمعون في برلين الكثير من الروايف القادمة الكاملة في تفاصيل كل نقطة، وكان العبث الأهمي في ليبيا ومن سارعوا بعقد مؤتمر ألمانيا مهمهم إثبات حسن النوايا وإبراء الذمة السياسية، بصرف النظر عن التطبيق.

توافق ظاهر وحسابات خفية

يعصف الإعلان عن التوافق حول مسودة برلين، من جهات دولية متباينة، بالمؤتمر من حيث يدرى أو لا يدرى بعض الحاضرين، فكيف يتسنى التوافق خلال أيام معدودة وقد فشلت كل الجهود في الوصول إلى ذلك؟

لا توجد إجابة مقنعة سوى أن من عزموا على الذهاب إلى برلين حقق كل منهم غرضه عبر عدم انتصار طرف على آخر مع تصادم الحسابات الخاصة بليبيا، وتتابعها مع تطورات إقليمية على صلة بها، ووسط تلويح أوروبي بالقيام بمهمة عسكرية في ليبيا، بعد تهديدات تركيا، وعدم استبعاد تدخل الدب الروسي مباشرة.

يعزز هذا التفكير القناعات الراجحة بان ألمانيا ومعها قوى غربية كبرى تريد خطف "الشو" الدولي أو اللقطة التلغرافية التي تؤكد الوفاء بوعود المؤتمر، وتفتت الفرصة على روسيا وتركيا بكتار توزيع الأوار أو إعادة إنتاج سيناريو ما حدث على الأراضي السورية ونقله إلى الأراضي الليبية وتخبطي عقبة سياسية كان من الممكن أن تترتب عليها عقوبات استراتيجية، ما يؤكد أن الأزمة ماثلة لمنافسات بين خصوم تقليديين ومستجدين، ومن سوف يكسب الرهان للقفز عليها والاستحواذ على مقاديرها الرئيسية.

لم تبلغ بعد الإرادة والريغبة والقدرة على فك طلاس الأزمة، مع ذلك هناك من يصور التعامل مع محطة برلين على أنه يمثل مرحلة حاسمة، ربما يكون المؤتمر فصلاً في فرز المواقف النهائية، ويكتشف كل طرف عما يمتلكه من أوراق للمضغط أو المساومة على الطاولة.
تعنى هذه المحددات أن الأزمة الليبية دخلت بوضوح النفق الأصعب الذي يؤجل حلها، ويجعل مؤتمر برلين حلقة ضمن سلسلة ظهرت واختفت دون التوصل إلى تسوية سياسية نهائية لها. فهناك جهات يهيمها أن تستمر الأزمة في الدوران، كي تنهل أطرافها الرئيسية ويتم استبدالها بأخرى، وهناك من يريحون من عدم توقعها أو يهربون من مساءلة ما عندما تصمت المدافع.

المواقف ليكون التعجيل بعقد مؤتمر برلين هو القاعدة التي توفي بها بوعودها، والمنصة التي تنشئ الدور المحوري والعنلي لبوتين في الأزمة الليبية.

سخرت برلين الأجراء المتلازمة لصالحها على أصداء ليبيا والمنطقة وصراعات الاستراتيجيات بين الدول الكبرى، وضربت فجأة موعداً للمؤتمر قبل استكمال الاستعدادات السياسية واللوجستية، وأحييت بذلك خطوة أوشكت على الوفاة قبل أن تكتمل مراحل ولادتها، وحافظت على مصداقية قيادة روجت إعلامياً بانها قادرة على تحقيق ما عجزت عنه قوى إقليمية ودولية عدة. حصلت "العرب" على معلومات من مصادر شاركت في جولات برلين الأربع بخصوص الأزمة الليبية، تؤكد أن روسيا لم تكن طرفاً فاعلاً في غالبية اللقاءات، والصين كانت بعيدة تماماً عن المناقشات، بينما تصارعت أفكار مصر والإمارات مع تركيا، وفرنسا مع إيطاليا صعوداً أو هبوطاً، ووقفت ألمانيا مثل مشجعي كرة القدم في المدرجات تساند اللعبة الحلوة التي تسجل هدفاً يصعب في جعبتها، وبدأ الوغد الأميركي متفجراً أو مترددًا أكثر منه متفاعلاً.

كشفت بعض المعطيات أن سبب صبر وترث دول مثل روسيا والصين والولايات المتحدة، يكمن في أن مخرجات مؤتمر برلين التي تشرف عليه الأمم المتحدة مخطط لها الذهاب إلى مجلس الأمن لمنحها قوة دفع سياسية، من وإلزام جميع الأطراف بتنفيذها. من هنا يمكن استخدام الفيتو، إذا جاءت النتائج عكس ما ترضيه أي من الدول الخمس الكبرى دائمة العضوية، ولها حق الفيتو في مجلس الأمن.

تغيرت المعادلة قليلاً عقب التطورات الأخيرة التي اصطحبت انخراطاً أكبر من جانب روسيا، وتقارباً في مواقف الدول الأوروبية، وأصبح المشهد يظهر نوعاً من التجاذب بين كتلتين، كلتاهما تريد القبض على مفاصل الأزمة الليبية وما يتعلق بتوازناتها الإقليمية والدولية في إطار صعود لافت لصراعات حول النفوذ، وباتت ليبيا بموقعها الجغرافي المتميز وفرواتها الطبيعية الكبيرة، وما تمثله من مكاسب وخسائر، في القلب منه.

يشير هذا الجانب إلى صعوبة فائقة في التوافق حول الأولويات. فمسودة البيان الختامي لمؤتمر برلين التي قدم بنودها الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو غوتيريش ليست كافية لضمان تسوية أزمة محتدمة، لأنها تضمنت عناوين سياسية وأمنية واقتصادية عريضة وكل منها على حدة من دون

تحركت عجلة الدبلوماسية الألمانية والأوروبية سريعاً للاستفادة من التصعيد السياسي والعسكري التركي، ونجحت في إحياء مؤتمر برلين بشأن الأزمة الليبية الذي كان يموت سريريا. وتستضيف اليوم الأحد الطرفين الرئيسيين في الداخل، وعدداً من القادة والمسؤولين من 12 دولة معنية بالأزمة.



محمد أبو الفضل
كاتب مصري

الميليشيات عن ممارسة أي دور يتقاطع معهما.

ظهرت هذه الأمور بجلاء، وزاد عليها تغيب أطراف سياسية واجتماعية رئيسية عن المشاركة في حل الأزمة، والصبر كثيراً على قيام تركيا بقدر كبير من الاستفزاز والابتزاز، حتى أقدم أردوغان على توقيع مذكرتي تفاهم بحري وأمني مع فايز السراج رئيس حكومة الوفاق، ثم إعلانه إرسال قوات عسكرية إلى طرابلس دعماً لما أسماه بـ"الشرعية الدولية"، التي ضربها عندما أوغل في دعم المعارضة والمتشددين في مواجهة النظام السوري الشرعي.

فوران سياسي

مضت الأحداث بوتيرة متسارعة، واعتقدت دوائر كثيرة أن مؤتمر برلين اصعب بالسكته الدماغية مع إعلان موسكو وانقرة وقف إطلاق النار في ليبيا، واستقبال روسيا كلاً من المشير خليفة حفتر قائد الجيش الليبي، وفايز السراج، وحاولت مع تركيا الحصول على توقيعها على وثيقة لوقف إطلاق النار، اعتذر الأول عن توقيعها، بينما سارع الثاني بالتوقيع عليها ليضمن له مقعداً في ملحقات الأزمة، بعد أن أصبح تابعاً لتركيا.

برلين سخرت الأجراء المتلازمة لصالحها على أصداء ليبيا والمنطقة وصراعات الاستراتيجيات بين الدول الكبرى، وضربت فجأة موعداً للمؤتمر قبل استكمال الاستعدادات

لم تفقد المستشار الألمانية أنجيلا ميركل الأمل في المؤتمر الذي راهنت على أنه يوجد لبلادها مكانة إقليمية تنهي بها حياتها السياسية، ونشطت دبلوماسيتها على طرق مختلفة ومناقضة، أملاً في الحفاظ على ماء الوجه، وكي لا تخطف موسكو ثمرة جهودها على مدار أشهر ولو حصل ذلك تحاول أن تضمن لها مقعداً بالقرب منها. استفادت ميركل من العلاقة الجيدة التي تربط بلادها بروسيا في تنسيق

كان من المخطط أن يكون مؤتمر برلين على مستوى رؤساء الدول والحكومات فقط، غير أن المعلومات التي رشحت تؤكد انعقاده بمن حضر، فهناك قادة مثل الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، والرئيس المصري عبدالفتاح السيسي، والرئيس التركي رجب طيب أردوغان، ووزراء مثل مايك بومبيو وزير الخارجية الأميركي، وممثلون رفيعو المستوى، على غرار "يانغ جيه تشي" رئيس مكتب لجنة الشؤون الخارجية بالحزب الشيوعي الحاكم في الصين.

ينطوي التفاوت في الحضور على تفاوت شبيه في درجة الاهتمام بالمؤتمر وقدرته على تحقيق اختراق حقيقي في الأزمة الليبية المستعصية، وبالتالي تباين في التقديرات السياسية لكل طرف، لأن الجولات التمهيدية الأربع التي استضافتها برلين خلال شهري نوفمبر ديسمبر لمنذوي عشر دول، الولايات المتحدة وروسيا وبريطانيا وفرنسا والصين ومصر والإمارات وتركيا وإيطاليا وألمانيا، لم تسفر عن تقارب في الاتوات اللازمة للحل، ودُعيت كل من الجزائر والكويت، لكنهما لم تشاركا في حوارات برلين السابقة، كما أن بكن لم تتفاعل معها عملياً.

وتؤكد تركية من هذا الموزايك، أنها قابلة للتغيير بالإضافة في أي لحظة، وأن الرؤية العامة لا تزال غامضة، وألمانيا التي رفعت سقف طموحات مؤتمرها في البداية كانت عاجزة عن الوفاء بعقده أصلاً، وضربت مواعد له مختلفة ولم تتحقق، ووجدت نفسها في بحر عميق من الرمال الليبية، كلما تجاوزت منطقة سياسية فيه وحلت قدمها في منطقة أمنية، وهكذا.

بدأت تصورات وتصرفات برلين عاجزة عن التقدم خطوة واحدة للأمام، نتيجة عدم الدراية الكافية بمفاتيح الأزمة، وفقدان الرؤية الشاملة للتسوية، وتناقض توجهات الجالسين على الطاولة، والتشويش الكبير على ملف الإرهابيين والمتشددين والمرترقة وتحركات تركيا التي تقف خلفهم، وعدم التركيز على دورهم في دعم حكومة الوفاق، والمراوغة في توحيد المؤسسات الليبية، وفي مقدمتها مؤسسة الجيش والشرطة، وإبعاد